الدروز بين البراءة والاتهام

دكتور/ عماد الدين محمد مصطفى رجب
المدرس بقسم العقيدة والفلسفة

الدروز بين البراءة والاتهام

تمهيد

الواقع ان الدرزية باعتبارها أحد التيارات التى تسود مسرح الفكر الاسلامى تكتسب أهميتها من خلال ماتعاورها من اقوال مختلفة حول هويتها وعقيدتها وقد جذب هذا الحوار انتباهى ، وذلك أننى قد شغلت بهذا الموضوع أثناء اعدادي لرسالة الدكتوراه ، لكننى لم أتمكن آنذاك من اعطائه مايستحق ، نظرا لانشغالى بالرسالة .

ولقد عدت إليه ثانيا بعد فراغى من رسالة الدكتوراه فعكفت على الكتابة فى الدروز بوصفها أحد التيارات المعاصرة ملتزم جانب الحيده مبتعد ماوسعنى الجهد عن التعصب وذلك مايحتاجه الكاتب الذي يتعرض للبحث فى التيارات السائدة فى الساحة الاسلامية . ذلك أن التحيز أو التعصب يدفعان بصاحبهما الى الابتعاد عن الحقيقة ويوقعانه فى الخطأ سواء كان متعمد أم ناتج عن أتباع الرأي .

وتدور دراسة موضوع الدروز على محورين رئيسين هما :

١ـ من هم الدروز ؟ ٢ـ ماعقيدة هذه الطائفة ؟

ولقد أوجب هذا التحديد طبيعة الطائفة من جهة ، وما أثير حولها من خلافات من جهة أخرى .

فمن حيث طبيعة هذه الطائفة ، فأنها تلتزم نوعا من السرية لايسمح بتسرب المعلومات عنها الا نادرا ، وبقدر يسير ، لايتيح للدارس التعرف على حقائق هذه الطائفة ، ذلك أنها تعتمد مبدأ السرية اساسا فى بنائها وتركيبها وليست هذه السرية ، تقية ، كما يرى البعض

وانما هي مبدأ رئيسى نابع من صميم هذه الفرقة ، كما صرح بذلك العارفون بها .

يقول الدكتور مصطفى الشكعة في كتابه " اسلام بلا مذاهب" ص ٢٧٦ :

(عقيدة الدروز عقيدة سرية ، تنبع من أصولها ومناهلها ، والسرية فيها اذن ليست من باب التقية كما هو الحال في المذاهب الباطنية ، وانما هي سرية مشروعة من أصول العقيدة) .

أما من حيث ما أثير حولهم من خلافات ، فانه يرجع أيضا ، وعلى كثرته الى مبدأ السرية الذي احاطهم بغلاف كثيف من الغموض، جعل من العسير التعرف عليهم ومادمنا قد قسمنا البحث الى مايتعلق بالانتماء ، ومايتعلق بالعقيدة ، فمن حيث الانتماء ، قد أثيرت آراء كثيرة حول انتماء الدروز، وتكاد هذه الآراء تكون نابعة من أهواء أصحابها ، فمثلا أن الذين زعموا انهم ينحدرون من أصل انجليزي أو فرنسى ، هم المستعمرون الذين كان يحلو لهم أن يضموا هؤلاء تحت جناحهم . والواقع الذي لا يدخله ريب هو أن الدروز عرب كما أكد ذلك العارفون بهذه الطائفة .

يقول الدكتور مصطفى الشكعة (الدروز عرب خلص ، فهم من لخم وتنوخ ، وهما قبيلتان عربيتان لكل منهما ماض مشرق ، وان لم يكن كل أبناء القبيلتين مما اعتنقوا المبادئ الدرزية) ص ٢٥١ .

ولعل اثبات عروبة الدروز ، لايحتاج الى عناء كثير ، فالفترة التى قضوها بين العرب تتيح لهم على الاقل ، ان يكتسبوا عروبتهم . واذا ما ذهبنا نبحث في قضية العروبة ، وجدنا ان من يستحق ان يقال عنه انه اصيل في عروبته ، هم سكان شبه الجزيرة العربية ، أما من

عداهم فقد اكتسب عروبتـــه ، أما مصاهرة أو اقامة أو مخالطة ، ولعل هـذه القضية لم تعد تحتاج الى بحث كثيـــر .

اما مسألة الخلاف حول الدروز فأن الباحثين قد أختلفوا حول بـــراءة الدروز واتهامهم هل هم مسلمون موحدون أم هم كفـــرة ملحدون ؟
ويميل الباحثون من أهل السنة الى اتهام الدروز ، وقد يبلغ هذا الاتهـام حد التكفير احيانـــا . اما كتاب الشيعة فأنهم يدافعون عن الدروز بوصف الدرزيـــة أبنة شرعية للباطنية . أما الكاتب المحايد فانه لايستطيع القطع في هذه القضيـــة نظرا لاكتنافه بالسرية والغموض ذلك أن الدروز يخفون مراجعهم ويحظرون الاطلاع عليها الا لمن كان منهم ولذلك فأن الكاتب المحايد لايسعه الا ان يضع مايتاح له عنهم موضع البحث مطبق المبادئ الاسلامية الخالصـــة مستخلص الحكم عليهم من خلال ذلك وهذا ماعسى أن يسفـــر عنه هذا البحـــث .

عقيدة الـــــدروز

اما قضية العقيدة ، فهي التي تشكل الخطر الاكبر بالنسبة لهـذه الطائفة ، ذلك أن ما أثير حول هذه العقيدة يضع الدروز بين قوسيــــن ولايتيح لأحد أن يدافع عنهـم ، وانما تتعلق هذه المهمة بهم وحدهــم فالقول بالتقمص يؤدي بالدروز الى انكار البعث وذلك يعد انكارا لامر علـم من الدين بالضرورة ، وتفسيرهم للجنة أو النار أو غير ذلك من أمور البعث لايقل خطرا عن قضية التقمص وليس لأحد أن يقول ، إن اقوال الـــدروز في هذه المسائل من قبيل التأويل أو الرمز ، الا اذا قالوا هم ذلـــك ، ووضحـــوا مرموزاتهـــم .

ولعل أخطر مافى أمر الدروز ، هو قضية ألوهية الحاكم بأمر اللـــه وإذا كان الدروز يعلنون فى بعض الأحيان تبرؤهم من هذه التهمة ، الا أنها ليست بالتهمة الهينة التى يمكن التساهل معها والتهاون ، وانمـــا ينبغى عليهم أن يحددوا موقفهم فى صراحة ، واضعين وثائقهم وكتبهـــم ولاسيما مايتعلق منها بأمر الدين ، بين أيدي علماء المسلمين ، حتى يمكن ازالة الشبهة عنهم ، ودرء التهمة اللاحقة بهم . فلا يكفى القول بأن حمـزة ابن على هو الذي زعم هذا الزعم ، لانه يستبعد تماما أن يقول حمـــزة ويكتب مثل هذه المقالة ، دون أن يكون الحاكم على علم بها ، وأن يتخـــذ فى أمر حمزة عكس ماكان يحبـــوه به من ود .

وعلى الجملة ، فسيظل الدروز بين البراءة والاتهام ، حتى ينفضـــوا عن أنفسهم ثوب السرية ، وان يباشروا فرائض الدين على الوجه الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، حتى لايتركوا لمتقول قولاً فيصبحوا بذلـــك داخل الصف الاسلامـــى دون تريب أو شـــك .

الــــــدروز

يعد الدروز فرعا من فروع فرقة الاسماعيلية الباطنية ، وهم من بيـــن المذاهب المعاصرة التي تنضـــوى تحت راية الاســـلام.

وقبل التعريف بهم يحسن أن نقدم عجالة عن الباطنية بوصفهم أصلاً لهذه الفرقـــة حتى يتيسر ادراك الفرع من خلال الاصل. فمن هـــــم الباطنيـــــة ؟

١ـ الباطنيـــــة أو الاسماعيليـــة :

هم المنسوبون الى محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق. وقـــــد كان من أشهر اولاد جعفر الصادق ولدان :موسى الكاظم واسماعيل. (١)

فاما موسى ، فقد التفت حوله قوم مكونين فرقة الاثنى عشريــــــة.

واما اسماعيل ، فقد رويت في شأنه روايات غريبة ، خلاصتها أنـــــه حين مات ، احضر ابوه جعفر بعض الوجهاء ، وأشهدهم على محضر سجل فيه وفاته ، ورفعه الى الخليفة ابى جعفر المنصور. وقد اختلفوا في مـــوت اسماعيل وفى الدوافع التى أملت على ابيه كتابة محضر على وفاتـــه.

ويقال ان سبب ذلك يرجع الى اتصال اسماعيل قبل وفاته بالغـــلاة من الشيعة ، وقد ارسل المحيطون باسماعيل ، الامامة فى ابنه محمـــــد بعد وفاة جده جعفر الصادق ، وقد كان فى السادسة عشرة من عمره اعمالا منهم لمبدأ عدم رجوع الامامة القهقري فأنها تنتقل فى الاعقـــاب.

---

(١) تاريخ الاسلام السياســـى ج ٤ ص ٢٥٦/٢٥٧.

وبهذا نشأت طائفة الاسماعيلية على اولئك الذين كانوا اصدقاء لاسماعيل ، التفوا حول ابنهم اماما لهم وهم : المبارك مولى اسماعيل بن جعفر الصادق ، وأبو الخطاب الاسدي وميمون القداح وكل منهم محوط بقدر كبير من الغموض . (١)

٢- مبادئ الباطنية :

احاط الغموض بالاسماعيلية ، فوقعوا بين البراءة والاتهام ، واختلفت حولهم الاقاويل . فعلى حين يضعهم البعض بين أشد الناس الحادا فان البعض الآخر يضعهم بين المؤمنين المؤدين للفرائض. ويمثل النوبختي الفريق الاول (٢) . اما الفريق الثاني فيمثله المالطي السنى . (٣)

ولعل هذا الغموض يرجع الى مبدأ التقية ، كما يرجع الى اختلاف مراحل الدعوة حيث كانت فى مراحلها الاولى بعيدة عن التفرع والخلاف كما انها كانت شديدة الاستتار ، مما جعل كتابها يلجأون فى حديثهم وكتبهم الى الرمز والاشارة (٤) ومبدأ التقية يعني المدارة والكتان والتظاهر بغير الحقيقة ، عند مخافة وقوع المكروه ، أو تسلط ذي سلطان . وذلك الكتمان ، وتلك المدارة ، يكونان لحفظ نفس أو عرض أو مال . وهذا المبدأ مأخوذ من قوله تعالى **" لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ الا ان تتقوا منهم تقاه "** ومبدأ التقية فى عمومه لا يمنع منه الاسلام ، حيث يقول تعالى :

---

(١) نشأة الآراء والمذاهب والفرق الكلامية : د . يحيى هاشم فرغل ص١٤٢ .
(٢) فرق الشيعة : ابو الحسن بن موسى النوبختى ص٦١ ، ٦٢ .
(٣) التنبيه والرد على أهل الاهواء والبدع : أبو الحسن المالطى ص٣٧ .
(٤) تاريخ طائفة الاسماعيلية : د . محمد كامل حسين ص١٩ .

" من كفر بالله من بعد ايمانـــه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان "

وقد نزلت على عمار بن ياسر حين أظهر امام الكفار مايرضيهم ثم استنكـــر ذلك من نفســـه ٠

وقد أخذ الباطنية بمبدأ التقية وبنوا عليه مذهبهم ، فهو جزء رئيسـي في تعاليمهم واليه يرجع تذرعهم بكتمان عقائدهم واخفاء حقيقة امرهم وقـــد روى عن الكليني ـ أحد شيوخ الشيعة ، أخبار كثيرة عن التقية اذ يروي عـن البعض قوله " تسعة أعشار الدين في التقية ولا دين لمن لا تقية لـــه "

وسنرى عند دراستنا للدروز بالتفصيل مدى أخذهم بالتقية واعتبارهـا مبدأ رئيسيـــا في مذهبهم ٠

ومن تعاليم الباطنية ايضا قولهم : ان للقرآن ظاهرا وباطنا ومـــن حقيقة الايمان عندهم الآخذ بالظاهر والباطن معا ، ولذلك نراهم يسرفون في الأخذ بالتأويل ومنها القول بالامام المعصوم وانه مصدر العلم عندهـــم وقد سميت الباطنيـــة بالتعليمية ٠ (١)

وقد ادى قولهم بهذا المبدأ الى اغلاق باب الاجتهاد واهـــدار قيمة العقل الى حد كبير ٠ ومن مبادئهم ايضا ، الشمول في العقيـــدة ويعنون بذلك احتواء عقيدتهم لكل الاديان والعقائد والمذاهب المختلفة ٠

من هم الـــدروز ؟

اختلف المؤرخون حول هوية الدروز ويرجع هذا الاختلاف الى الرغبة في احتواء المذهب أو الى الجهل بحقيقة الدروز نتيجة للتكتم الشديـــد الذي يحيط به الدروز انفسهـــم ٠

---

(١) طائفـــة الاسماعيلية : (تاريخها ونظمها) د ٠محمد كامل حسين ص ١٤٨ ٠

وسنعرض الآراء محاولين الوصول الى ارجحها :

أ- فاما الذين رغبوا في احتواء المذهب ، فهم المستعمرون الذين دأبوا على احتواء كل تيار يطفو على ساحة الفكر الاسلامي واستخدامه لتحقيق مصالحهم السياسية ومآربهم الاستعمارية وهم في سبيل ذلك قد زعموا ان الدروز ينحدرون من أصل غربي :فالفرنسيين من المؤرخين في القرن السابع عشر الميلادي اذاعوا خرافة ، ادعوا فيها أن الدروز هم سلالة الجنود الفرنسيين الصليبيين الذين كانوا تحت قيادة الكونت دي دروكس الذي اسكنهم جبال لبنان بعد سقوط عكا [(١)] فكلمة الدروز عندهم هي تحريف (دي دروكس) وامتد بهم الخيال الى أن يزعموا ان الامير فخر الدين بن معن حفيد القائد الصليبي جود فري .

ولقد كان الدافع وراء هذه المزاعم رغبة الفرنسيين في التودد الى الدروز الذين اشتهروا بشدتهم في الحرب وشجاعتهم ويدحض هذا الزعم أن الدروز كانوا يسكنون هذه المنطقة من لبنان وحوران ووادي التيم قبل أن تبدأ الحروب الصليبية باكثر من ثلاثة قرون وربما يعين على تفسير ماذهب اليه المؤرخون الفرنسيون ان عددا كبيرا من جنودهم كانوا اسرى عند الدروز ، الذين اتخذوهم عبيدا لهم ، كما اتخذوا نساءهم اماء وسبايا .

* ولم يقتصر الامر على الفرنسيين في محاولة الاحتواء ، بل أن الانجليز اذاعوا في القرن الثامن عشر ان الدروز من أصل انجليزي [(٢)]

---

(١) طائفة الدروز (تاريخها وعقائدها) :د . محمد كامل حسين ص٧ .
(٢) نفس المصدر : ص٧ .

فهم سلالة الجنود الانجليز الذين صاحبوا الملك " ريتشارد قلب الاسد " وغيره من ملوكهم الذين شاركوا في الحروب الصليبية .

ولا يسع الباحث الا أن يسخر من هذه الروايات التى تفقد السند العلمى الذي ترتكز عليه .

على أن من بين هؤلاء المؤرخين الغربيين من توخوا الصواب وان لم تتملهم الاحاطة ومن بينهم " سلفستر دي ساسى " فى كتابه " عقيدة الدروز " وڤولناي الفرنسيان ، والمحقق الالمانى "مولر" فى كتابه " الاسلام " ومنهم من ذهب الى حد التدليل على بطلان الزعم بأن الدروز ينحدرون من أصل فرنسى ، مثل ڤولناي العالم الفرنسى الذي عاش اربع سنوات فى مصر وسوريا يدرس احوال شعوبهما فى الربع الاخير من القرن الثامن عشر ، فقد ذكر أنه لم يجد أثرا للغة الفرنسية فى كلام الدروز . (١)

ب - واما الذين أرخوا لهذا المذهب ، وهم على جهل به فانما ادى بهم الى هذا الجهل تستر الدروز وكتمانهم لعقائدهم وعدم السماح لأحد بالاطلاع على مذهبهم وقد كان معتمد هؤلاء المؤرخين على مايقع لهم من بعض الكلمات الاجنبية فيما قد يتاح لهم من كتب الدروز فاذا وجد احدهم كلمة فارسية فى كتبهم المقدسة فعنده انهم من الفرس واذا وجد كلمة من أصل ارامى فهى اذن من الاراميين .

والحقيقة ان المؤرخ المنصف لاينبغى ان يصل الى تأصيل طائفة من الطوائف الا اذا اتيح له من الوثائق التاريخية الصحيحة مايستطيع معه الفصل فى مثل هذه المسائل الدقيقة اذ ان اختلاط الشعوب

---

(١) مذهب الدروز والتوحيد : عبدالله النجار ص ٢٤ .

وامتزاجها على طول الزمن يبعد الانسان عن نسبه الاصلى قليلا أو كثيرا بمقدار اتصال اسرته بغيرها لكن بعض الاسرات تحافظ على نسبها وتثبته جيلا بعد جيل فيصبح سجل النسب وثيقة تاريخية يعرف منها أصل هذ الاسرة كما هو الحال مع آل ارسلان أو آل معن ، أو آل شهاب أو السادة الاشراف ، تلك الاسر التى يتكون منها الدروز ، ولا يعنى ذلك أن كل المؤرخين الذين عرضوا للدروز قد وقعوا في الخلط ، فان مؤرخين مشهورين مثل ابن خلدون في كتابه " العبر " والمقريزي في كتابه " الخطط /ج٢ " قد عمدا الى نقد المشنعين على الدروز ، من المؤرخين السابقين عليهما . (١)

واذا استقصينا أصل الدروز عن طريق المؤرخين المتخصصين فلن نجد أوثق مما اجمع هؤلاء المؤرخين على اختلاف مذاهبهم واجناسهم على أن الدروز - أول ماظهرت عقيدتهم في بلاد الشام سنة ٤٠٨هـ - كانوا يعيشون في منطقة وادي التيم . (٢)

وقد سمى هذا الوادي بذلك الاسم نسبة الى قبائل تيم الله بن ثعلبة اليمنية الاصل الذين سكنوا الفرات منذ الجاهلية ، وكان منهم ملوك المناذرة في الحيرة واستقرت بعض بطون هذه القبائل في منطقة حلب وقد كان لهم في عهد الفتوحات الاسلامية سجل حافل في فتح الشام ومصر ، ونزلوا في محافظة البحيرة وحاربوا الى جانب معاوية بن أبي سفيان موقعة صفين وصاروا سادة المناطق التى حلوا بها وشاركوا الامويين في مجاهدة الروم .

---

(١) مذهب الدروز والتوحيد : عبد الله النجار ، ص ٢٥ .

(٢) طائفة الدروز : د . محمد كامل حسين ص ٨ ومابعدها .

ثم انهم انضموا لدعوة العباسيين حين قامت دولتهم ونزحت بعض بطونهم الى لبنان - استجابة لدعوة ابى جعفر المنصور - لحماية السواحل من بغتات الروم، ولتأمين طرق المواصلات ، فانتشرت جموعهم فى جبال لبنان وتكاثر عددهم وصاروا قوة لها شأنها واشتدت شوكة قبائلهم فى كل تلك المناطق .

وقد استمرت قبائل الدروز العربية تمارس بطولاتها على مدار التاريخ فقد شاركوا اخوانهم المسلمين فى الحروب الصليبية قبل حكم صلاح الدين الايوبى وفى اثنائه وجاهدوا التتار مع الجيوش المصرية فى موقعة عين جالوت الخالدة .

وغنى عن البيان ان تاريخ الدروز فى العصر الحديث يوضح دورهم المجيد فى مناصرة حركات التحرير العربى ومجاهدة المستعمرين العثمانيين والاوربيين مما يدل على صفاء عنصرهم وسلامة عروبتهم .

ويسكن الدروز فى وقتنا الحالى بعض مناطق جبال لبنان مثل الشوف والمتن ويكثرون فى سوريا فى جبل حوران المعروف بجبل العرب كما نجدهم فى بعض اقاليم فلسطين مثل صفد وعكا وجبل الكرمل وطبرية .

واذا كان الدروز ينتمون الى قبيلتى لخم وتنوخ اليمنتين فان بعض المؤرخين يميلون الى القول بانهم من عرب سوريا والعراق وجدوا فيهما منذ فجر التاريخ ولبثوا ثمة ، مع من اندمج فيهم وانضم اليهم من عرب اليمن والحجاز الذين قدموا الى هذه البلاد واستوطنوها ،فامتزجت دماؤهم قبل النصرانية والاسلام، وقبل بعث موسى وعيسى ومحمد الذين اعتنقوا دياناتهم على التعاقب .

وايا ماكان الامر فأن المؤرخ الدرزي لايهدف من وراء هذا القـــول الا الى اثبات ان طائفـــة الدروز متماسكة منذ القدم وانهم أهل كتـــاب منذ انضوائهم تحت نور الديانات السماوية واحدة بعد الاخرى.

صلة الدروز بالفاطميـــــين :

وترجع صلة الدروز بالفاطميين الى بدء قيام الدولة الفاطمية فـــي الشرق عندما وجه المعز لدين الله ـ أول خلفاء الفاطميين في مصر قائده جعفر بن فلاح عام ٣٥٨هـ بكتاب الى الامير سيف الدولة المنذر بـــــن النعمان بن عامر ، امير بيروت يدعوه الى بيعة المعز فاستجاب له بعـــد ان استشار عشيرته وبعد اجماعهم على مصانعة الفاطميين حتى يروا منهـــم مايكون ومنذ ذلك الوقت دخل الدروز في الدعوة الفاطمية وقويت الاواصـــر فيما بينهـــم.

ولقد انتشرت الدعوة الفاطمية في جميع بلاد الشام بفضل الدعايـــة المنظمة التي كانت سمة لمذهبهم وكانت قبائل تنوخ في بلاد المعـــرة وفي وادي التيم وجبال لبنان اسرع اهالي الشام قبولا لتلك الدعوة وكانـــت تلك القبائل هي النواة التي تشكل منها الدروز مذهبا وعقيدة. (١)

اصل التسميـــة :

لقد تسمى الدروز باسماء كثيرة في ظل الاسلام ففي عهد الرســول صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفون باسم الانصار والمؤمنين ، ثم عرفوا علـــى التعاقب بالشيعة العلويـــة ثم شيعة آل محمد ، ثم شيعة جعفريـــة

---

(١) طائفـــة الدروز : ص١٠.

ثم اسماعيليـــــة . (١)

وبعد ظهور دعوتهم ، فان اشهر اسمائهم الموحدون - اذ يـــرون انفسهم أهل توحيد للخالق - وبنو معروف ثم الدروز ، وهم اسم يستنكـرون نسبتهم اليه ، ولايحبون ان يلقبهـــم أحد به .

وقد اختلف المؤرخون فى اصل التسمية بالدروز ،فالبعض ينسبهـــــم الى محمد بن اسماعيل الدروزي (بفتح الدال والراء)وهو أحد الداعيـــن الى تأليه الحاكم بأمر الله الفاطمى ، وقد دعا الى مذهبه هذا فى وادي التيم موطن الدروز الاول ، وكان ذا ميول يهودية مجوسية ، ويقال ان الدروز قتلوه ، وهو المعروف باســـم نشتكين الدرزي .

والبعض يرجع باللفظ الى شخص آخر اسمه الامير انوجور ابو منصـور أنوشتكين الدرزي (بضم الدال وسكون الراء) وهو أحد قواد الحاكـــم بأمر اللــــه .

ويقال ان طائفة الدروز تنتسب الى هذا الاخير ، دون الاول فــلا يزال الدروز يلعنون نوشتكين ، ويجلون أنوشتكين حتى اليوم . (٢)

وعلى آية حال ، فالدروز فرقة اسماعيلية باطنية وهم يعتبرون انفسهم الآن ولالف سنة مضت فى دور الستر (٣) فلايكشفون من أمر عقائدهـــم وائمتهم مايلقى بعض الضوء على مذهبهـــم .

---

(١) اسلام بلا مذاهب : د . مصطفى الشكعـــة ص ٢٥٣ .
(٢) اسلام بلا مذاهب : د . مصطفى الشكعـــة ص ٢٥٠ .
(٣) مصطلح اسماعيلى يقصد به نشر الدعوة فى تستر وكتمان أو استتـار الامام وخفـــاؤه .

وقد دفع هذا الامر الكثير من المزيفيـــن ـ والمستعمرون منهم ـ الى اختراع بعض الرسائل بين الحين والحين ، ونسبتها الى الـــدروز حتى يتصدع الصف الاسلامي ، ويبدو الدروز مارقين ضالين ، وبذلـــك يبتعد عن الصف مجموعة من خيرة رجال المسلمين وشجعانهـــم .

التكوين الاجتماعي لطائفة الـــدروز :

تعد طائفة الدروز مجتمعا متميزا له مجموعة من الخصائص يتسم بها ، ذلك أن هذا المجتمع يعتمد السرية مبدأ يؤسس عليه حياته بجميـــــع نواحيها [1] . لذلك لانكاد نجد من يستطيع أن يصدر قولا فصلا فـــى الدروز . بل ان كل الدراسات التى كتبت عنهم تعتمد على الحدس والتخمين وعلى ماقد يتسرب من افكار وآراء عن طريق ابناء هذه الطائفة ولا يعنى ذلك الجهل التام بأمور الدروز . فهناك قلة من الدراسات قد حاولت استقصـــاء الحقيقة عن طريق مخالطة ابناء هذه الطائفة أو الاطلاع على ماصدر عنهـم من كتابات وماعرف من كتبهم (المقدســة) التى يصعب الوصول اليهـا اذ ان الدروز يحتفظون بهذه الكتب على صورة مخطوطات فى اماكن سرية امينـــة .

ومع هذا الغموض الذي يكتنف الدروز ، فان هناك مجموعة مـــن الحقائق يكاد يتفق عليها معظم الباحثين ومن بين هذه الحقائق :

أ ـ ان طائفة الدروز تنتمى الى الاسلام وتعيش تحت رايته وان انفردوا بتأويـــلات لبعض الفروع خاصة بهـــم .

---

(١) مذهب الدروز والتوحيد : ص١٤ ، اسلام بلا مذاهب ص٢٦٣ .

ب - ان الدروز ينتمون للحاكم بأمر الله الفاطمى الذي ظهرت دعوتهم في عهده .

جـ - ان هذه الطائفة من الجماعات السرية التى لاتطلع احدا على عقائدها كما أنها تعتمد التقية مبدأ لها .

د - ان هذا المجتمع المنغلق لايسمح لاحد بالدخول فيه من غير أهله كما لايسمح لاحد بالخروج منه .

هـ - لايجوز زواج الدرزي ذكرا كان أو انثى من خارج الطائفة تلك هي بعض الحقائق التى تكاد تكون محل اجماع الباحثين فى الدروز اما عن تكوين مجتمع الدروز فانه يتكون من طبقتين : (١)

الاولى : طبقة العقال (جمع عقل) :

* وهم الذين لهم الحق فى معرفة شئ من العقيدة السرية ،وينقسمون الى درجات ثلاث : فالدرجة الاولى هم خاصة الخاصة ، المطلعون وحدهم على الاسرار العليا للعقيدة والدرجة الثانية هم الخاصة الذين هم أقل حظا من الطبقة الاولى من حيث الاطلاع على الاسرار ثم الدرجة الدنيا وهم أهل التحصيل والتعليم .

الثانية : طبقة الجهال :

* وهم الذين لاحظ لهم من الاطلاع على علوم الدروز أو اسرار العقيدة الدرزية الا فى يوم عيد هم الذي يوافق عيد الاضحى والانتقال من طبقة الجهال الى طبقة العقال ، لايكون الا بعد امتحان عسير قد يستمر سنة أو اكثر ، يقوم المرشح للانتقال فى اثنائها بالامتناع

---

(١) طائفة الدروز : ص ٢٨ ومابعدها .

عن كثير من شهواتـــه ورغائبه كالتدخين وغيره ولا يسمح له بالانتقال حتى يكتسب ثقة الشيخ فيـــه ٠

ويتميز العقال بعمائمهم ولبس القباء الازرق الداكن واطلاق اللحـــى ويباح ترك هذه الملابس لمن يعملون منهم في الوظائف الحكومية الى ملابـــس تتناسب مع مناصبهـــم ٠

وما ينطبق على الرجال في هذا التقسيم ينطبق على النساء كذلـــك ٠ فهن ينقسمن الى عاقلات وجاهلات والعاقلات يلبسن النقاب وثوبا اسمـــه (صايـــة) على أن الغالب على نساء الدروز الحجاب ٠

وللدروز رؤساء دينيون في كل مكان على رأسهم شيخ يعرف بشيـــخ العصر ، ويتولى منصبه بالانتخاب او باتفاق زعماء الطائفة وكبار رجالهـــم ولشيخ العصر اعوانه في كل قرية أو بلد وهم شيوخ عقل محليون وينقســـم شيوخ العقل في لبنان الى حزبين اساسيين هما الشيوخ الجنبلاطيـــة والشيوخ اليزبكية ، كما ينقسم الدروز عامة في لبنان مدينا الى امراء وهـــم آل ارســـلان ومشايخ وهم الجنبلاطية واليزبكية وعامة ٠ (١)

وللدروز قضاتهم الذين يحكمون دائما حسب التقاليد والشريعـــة الاسلامية ، ولكنهم يحكمون وفقا للتقاليد الدرزية في بعض المسائل ٠

فلا يجوز مثلا ان يوصى الدرزي باملاكه التي ورثها عن جدوده وابائه دون الآخرين ، اذ ان الاملاك الموروثة عن الاجداد ملك لكل افـــراد الاسرة لا يحرم منها واحد فاذا كان الميراث مجددا عن جهد شخـــص فمن حق المورث ان يمنحه من يشاء من ابنائه وكذلك فالمرأة لا ترث شيئـا

---

(١) طائفـــة الدروز : ص ٢٩ ومابعدهـــا ٠

من دار ابيها كما لايجوز لرجل ان يجمع بين زوجتين فلا يحتفظ الا بزوجة واحدة ، فاذا طلقها جاز له أن يتزوج غيرها ، ونظام المحلل لاوجود له عند الدروز فاذا طلقت من زوجها لايجوز عودتها اليه بأي حال ، حتى لو تزوجت غيره.(١)

وعلى الرغم من أن الدروز من أشد العرب صلابة عود وشجاعة قلب وبخاصة في ساحات الجهاد ، فانهم لم يستطيعوا ان يقيموا لهم دولة كما فعل الفاطميون في المغرب ، أو الاسماعيلية في فارس، ولعل هذا راجع الى قلة عددهم.

عقيدة الدروز :

لكي يمكننا فهم عقيدة الدروز ، ينبغي علينا ان نقدم نشأة الدعوة الدرزية.

لقد نشأت هذه الدعوة بمصر ايام الحاكم بأمر الله الفاطمي الذي ولي الخلافة الفاطمية من عام ٣٨٦هـ الى ٤١١هـ.(٢)

فقد كان الحاكم انسانا غريب الاطوار يقتل اليوم من استوزره بالامس كما فعل بوزيره فهد بن ابراهيم وكما تخلص من اوصيائه مثل برجوان والحسن بن عمار.

وترجع هذه الغرابة الى انه تولى السلطة وهو لايزال حدثا صغيراً السن وقد احيط بها له خاصة ، مما اسبغته العقيدة الفاطمية على ائمتهم من رفع درجاتهم وتقديسهم ، وقد اوصى والده الخليفة العزيز بالله عند

---

(١) اسلام بلا مذاهب : ص٢٩٣.
(٢) طائفة الدروز : ص ٣١ ومابعدها.

عند موتـــه بابنه الحاكم الى ثلاثة رجال من ثقاته وهـــــــم :
محمد بن النعمان بن حيون المغربـــي - الذي كان ابوه صاحب فقـــه الشيعة الاسماعيلية الفاطمية · وكان محمد هذا رجل دين يشتغل بالقضـاء ولا يشغل نفســـه بسياسة الحكم·

وكان الوصي الثاني ابا الفتوح برجوان الذي كان من العبيد الصقالية الذين تربوا في قصر الخلافة الفاطمية حتى صار مشرفا على خزائن القصـــور الفاطمية وكان موضع ثقة العزيز بالله الفاطمي حتى أنه كان يتولى تدبيـــرا امر البلاد كلما خرج العزيز الى الحروب بالشام·

واما الوصي الثالث فهو الحسن بن عمار ، زعيم قبيلة كتامة المغربيـــة وكان قائدا مشهورا بحسن بلائه ، لتثبيت دعائم الفاطميين في صقلية ومصـر والشام وكان يدل على الفاطميين بذلك · ولقد حاول أن يستعيد امجـــاد قبيلته فسار سيرة الملوك ، وامر الناس بالترجل له ، ومجد نفسه الا على نفر قليل من خاصتـــه وزعماء قبيلته ووزع عليهم الاموال والوظائف فترفعـــوا على الناس واعتدوا عليهم وكثر ظلمهم وفسادهم · وقد اشتد جبروتـــــه وطغيانه واستأثر بالسلطة كلهـــا ·

لكن الحاكم بأمر الله تنبه الى اخطاء هذين الرجلين فاستعـــان ببعض من يثق فيهم فتخلص منهما الواحد تلو الآخـــر ·

وقد كان موقف الحاكم هذا ، وتمكنه من التغلب على هذين الرجلين مثار اعجاب الناس ، كما كان التفات بعض المغرضين به مشجعا ايـــاه على ان يبني مذهبا يشبع طموحاتـــه ، ويرضي غروره ، وكان من اشهر هؤلاء الرجال حمزه بن علي بن أحمد ، ومحمد بن اسماعيل الدرزي والحســـن

الفرغانـــى .

ومعلوم ان الحاكم بأمر الله ، كان على مذهب الفاطمية الذين هـــم في الأصل من الشيعـــة الاسماعيلية وقد اعانته ورجاله ، تعاليم الدعـــوة الباطنية الاسماعيليـــة على تكوين دعوته الجديدة ، وسوف نلاحظ عنـــد دراستنا لعقيدة الدروز مدى تأثر هذه الدعوة بدعوة الفاطمية الاسماعيلية .

فقد ذكر حمزة بن على فى رسالته (السيرة المستقيمة) ان الالـــه تجلى فى الصورة الناسوتية عشر مرات منذ بدء الخليقة حتى الحاكم .
فقد ظهر أول مرة فى الهند ومرة فى مدينة اصفهان بفارس فى صـــــورة (اليا) ولذلك يقول (بارخداي) اي الله وظهر فى اليمن فى صورة شخص يعرف بعلى ومرة فى بلاد المغرب فى صورة شخص يعرف بالموئل وهو ثـــري يمتلك أكبر من ألف جمل . ولاول مرة يظهر فى صورة ملك عندما ظهر فـــى شخصية القائـــم بامر الله الفاطمـــى .

الوهيـــة الحاكم:

تقوم الدعوى الدرزيـــة على القول بتألية الحاكم بامر الله اي ان الحاكم يمثل الناسوت الالهى ويقرر الدروز ان حلول اللاهوت ، أو تجليـــه فى صورة الناسوتية – اي البشرية – لم يكن قاصرا على الحاكم بل حـــدث قبل ذلك عدة مرات منذ بـــدء الخليقة .

فقد ذكر حمزة بن على فى رسالته (السيرة المستقيمة) أن الالـــه تجلى فى الصورة الناسوتية عشر مرات منذ بدء الخليقة حتى الحاكم .[(١)]

(١) طائفـــة الدروز : ص١٠٣ ومابعدهـــا .

فقد ظهر أول مرة في الهند ، ومرة في مدينة اصفهان بفارس في صورة (البا) ولذلك يقول الفرس (بارخدا) اي الله ، وظهر في اليمن في صورة شخص يعرف بعلي ، ومرة في بلاد المغرب في صورة شخص يعرف بالموئل وهو ثري يمتلك أكثر من ألف جمل . ولاول مرة يظهر في صورة ملك عندما ظهر في شخصية القائم بامر الله الفاطمي ثم في شخصية ابي زكريا القرمطي ، ثم المنصور بالله ثم المعز لدين الله ، ثم العزيز بالله ثم الحاكم بامر الله .

وعقيدة ادعاء الالوهية ، مما يضع الدروز بين قوسين فاذا ماصحت هذه الدعوى وثبت انها اصل من اصول عقيدتهم فانها تخرجهم بالضرورة من الاطار الاسلامي وتضعهم في دائرة الشرك . ولكن مامدى صحة هذه الدعوى ؟ .

ان ذلك يقتضي ان نتأكد من الوثائق والكتب المقدسة الخاصة بالدروز وهذه - تبعا لمبدأ السرية عندهم محجوبة الا على خاصتهم . واذا ماتسرب بعض منها فانه يحتاج الى اعمال النظر للتأكد من سلامته من التحريف والتزييف فلقد حاول اعداء الدروز ان يزيفوا عليهم كثيرا من الدعاوى التي تخرجهم من حظيرة الاسلام وهم صامتون لاينكرون ولايثبتون وليس الا ان نعرض عقائدهم في ضوء مايتاح لنا من مصادر قاصدين الى التعريف بهم دون الحكم عليهم ،فان الحكم عليهم يحتاج الى الاطلاع على وثائقهم وكتبهم المقدسة كلها . غير اننا ننبه الى أخذ مايقال عنهم بشئ من الحذر والتثبت .

ويختلف الباحثون في مسألة ألوهية الحاكم : فبعض المؤرخين يــرى ان الحاكم لم يكن على علم بهذه المسألة وانما وضع ذلك حمزة بن على الذي يكاد يكون واضع اسس هذه الدعوى ومنسق مبادئهـــا ٠

والبعض الآخر يرى أن الحاكم كان على علم بذلك وكان يرتضيـــه ولكن الذي لانستطيع اغفاله هو أن الحاكم لم يكن يجهل تماما مسألـــة تأليهه هذا ولم تلق هذه الدعوة رواجا بمصر ، ذلك أن المصريـــــن بطبيعتهم يميلون الى المذهب السني ويرتبطون به تمام الارتبـــاط ٠

فكما تحطمت الدعوة الفاطمية في مصر - لكونها دعوة شيعيـــة - كان كذلك مصير الدعوة الدرزيـــة ، التبدد ٠ لذلك نجدها قـــــد هاجرت الى الشام مستغلة ظروفها الصعبة وتمزقها السياسي ، وطبيعتها الجغرافية لتجد بها مرتعا خصيبا فتبيض وتفرخ حتى يومنا هذا ٠

ومما يصور اعتقاد اتباع الحاكم في الوهيته ، ماورد في احـــدى رسائل الكتب المقدسة للدروز وهي رسالة " السير المستقيمة " فقد جاء فيها[1]

" لكني اذكر لكم في هذه السيرة وجوها قليلة العدد كثيرة المنفعة لمن تفكر فيها فاول ما أختصر في القول مافعله المولى سبحانه مع برجـوان وابن عمار ، وهو يومئذ ظاهر لايراه العامة الا على قدر عقولهم ويقولـــون صبي السن وملك المشارقة كافة مع برجوان ولابن عمار ملك المغاربة فامــر **مولانـــا** بقتلهم فقتلوا قتل الكلاب ولم يخش من تشويش العساكـــر والاضطراب وامل أهل الارض فيما يستجرى احد منهم على مثل ذلــك ثم امر بقتل ملوك كتامـــة وجبابرتها بلاخوف من نسلهم واصحابهـــم

---

(١) طائفة الدروز : محمد كامل حسيـــن ٠ ص١٤ ومابعدهـــا ٠
اسلام بلا مذاهب : مصطفى الشكعة ص٢٦٧ ومابعدهـــا ٠

ويمشى انصاف الليالى فى اوساط ذرايهم واولادهم بلا سيف ولا سكين شاهدتموه فى وقت ابى ركوة الوليد بن هشام الملعون وقد اضرم ناره وكانت قلوب العساكر تجزع فى مضاجعهم مما راوه من كسر الجيوش وقتل الرجال وكان المولى جلت قدرته يخرج انصاف الليالى الى صحراء الجب ويلتقى به حسان بن عليان الكلبى فى خسمائة فارس وقف معهم بلا سلاح ولا عدة حتى يسأل كل واحد منهم عن حاجته ثم أنه يدخل فى ظاهر الامر الى صحراء الجب وليس معه غير الركابية والمؤذنين " الى أن يقول مصنف الرسالة : " انكم ترون من امور تحدث بما شاهدتموها من المولى مالا يجوز ان تكون افعال احد من البشر لا ناطق ولا اساس ولا امام ولا حجة فلم تزدادوا بذلك الا عمى وقلة بصيرة ٠

فهذا اعتراف من امام دعوة تألية الحاكم بأن احدا من البشر لا يستطيع أن يأتى من الاعمال ماقام به الحاكم ، لان اعماله هى عمل اله ٠

اصول العقيدة الدرزية :

عرفنا من خلال دراستنا ، ان العقيدة الدرزية عقيدة محجوبة الا على خواص الدروز ٠ وسرية العقيدة تعتبر من اصولها " وأس رئيسى " فيها وليست منهجا طارئا عليها (١) ٠ لذلك فان مانقدمه عن هذه العقيدة حاولنا اخذه مما صرح به الدروز انفسهم ٠

مصادرها :

اخذ الدروز عقيدتهم من مصادر متعددة منها الفلسفة الاغريقية التى استقوا منها بعض ماورد عن فيثا غورس وافلاطون ومعلوم أن مبدأ

---

(١) اسلام بلا مذهب : مصطفى الشكعة (نقلا عن كتاب اضواء على مسلك التوحيد) للدكتور سامى مكارم) ٠

السرية قد اعتمدته المدرسة الفيثاغورية (مبدأ رئيسيا) من مبادئهـــــا الرئيسيـــة .

وقد خلطوا ذلك بما عند الفرس والهنود والفراعنة من نظر فلسفـــى فامحوتب الفرعوني له عند الدروز تمجيد وتعظيم ويرفع المحدثون من الـدروز فلاسفة اليونان الى مرتبة عليا ، ترقى الى مرتبة الانبياء ، فاذا ماذكـــروا واحدا منهم قرنوه بقولهم " عليه الســـلام " (١)

وتصور الدروز للوجود ، تصور فلسفي ،فعلى قمة الموجودات العقـل الارفع أو العقل الكلي وهو حسب تعريفهم : " مصدر انبثاق جميع الكائنـــات وهو عين بقائها في هذا الوجود ، ومنه وبه ابتدعت فهي لاتنفصل عنـــــه ولا ينفصل عنها من حيث العلة والمعلول في تنزل فعل الخلـــق .

فالعقل الأرفع من هذا القبيل يحل في سر اسرار جميع الكائنـــات على احتجاب شبه كلي أو جزئي أو وعي متفاوت لا يبلغ اقصاه الا في مــــرآة جوهر عقل الانسان بوصفه ارفع هذه الكائنات واقربها من استيعاب نـــور الحق الذي منه انبثقت على ان هذا العقل الارفع هو واسطة الكشـــف والمعرفة واداة المشاهدة في كل نفس مؤمنة ، يتم الشهود لجوهر الذات الفرد دون ان يرتفع الانسان من درجته وحده الى كينونه هذا العقـــل الارفع الذي هو الاصل الوجـــودي والحد الاول . (٢)

والفلاسفة الذين بنوا نظريتهم في الوجود على فكرة العقل يجعلون هذا العقل واسطة الوجود فيه يتم الأبداع وعنه تكمل المعرفة الأنسانية

---

(١) - اسلام بلا مذاهب : مصطفى الشكعة ص ٢٧٧ (نقلا عن "اضواء علـــى مسلك التوحيـــد ص ١٠٠) .

(٢) نفس المصدر (نقلا عن اضواء على مسلك التوحيـــد ص ١٢٣ ـ ١٢٤)

بالذات الالهيـــة اذ ان العقل الانساني الجزئي هو صورة لهذا العقل الكلـــي .

ولعل مادفع الفلاسفة المسلمين الى الاخذ بفكرة العقل الكلي فـــي تفسير الوجود الحديث : " أول ماخلق الله العقل فقال له : أقبـــــل ثم قال له : ادبر فادبـــر ثم قال وعزتي وجلالي ، ماخلقت شيئا أعز علـــى منك ، بك آخذ وبك أعطي وبك أثيب، وبك أعاقب" .

وعلى الرغم مما يثار حول صحة هذا الحديث ، إلا انهم اعتبروه مستندا لهم فيما ذهبوا اليـــــه (ويؤمن الدروز بفكرة التقمص) .

ولكي نفهم المراد بالتقمص عندهم نعطي لمحة سريعة عن التناســـخ حتى نحدد ان كان مايقصدون بالتقمص التناسخ أم شيئا آخر .
فالمؤرخون يكادون يجمعون على أن أصل فكرة التناسخ مأخوذة عن الهنـــود الذين يعتبرون ، أشد الناس اعتقادا بهذه الفكرة ، كما يقول الشهـــــر- ستاني ، الذي يرى أنه مامن ملة من الملل الا وللتناسخ فيها قدم راســـخ وانما تختلف طرقهم في تقرير ذلك وأهم ماينبني عليه التناسخ امران :
١ـ **التقمـــص**(١): اي حلول النفس بعد مفارقتها الجسد ، في جســـــد آخر سواء اكان بشرا أم حيوانا أم نباتا . ولا يتم هذا الانتقال بطريقة عشوائية وانما يعتمد على ما اسلفته النفس عند تلبسها بالجسد .
فان كان عملها خيرا ، حلت في جسد ارقى رتبة من الذي كانـــت فيه وان كان عملها شرا ، انحطت الى جسد ادنى من الذي كانت فيه .

---

(١) اسلام بلا مذاهب :ص٢٧٩ ، مذهب الدروز والتوحيد :ص٦٥ ومابعدها .

٢- الـــدور وهو الانتقال من الكون الى الفساد الى الكون فـــى سلسلـــة متعاقبـــة ٠

وهناك علاقة وثيقة بين التقمص والدور ، ولكن فى اتجاهين مختلفين ٠ فقد يتمثل الدور فى انتقال النفس من الجسد الى آخر ، وقد يمتد بحيث يشمل عدة انتقالات للنفس تنتهى بما يسمى دورا ، ثم يعقبه دور مماثل لـه وقد يرتبط معنى الادوار هنا بدورات الفلك ، ولعله يمكن تتبع جذور هـذه الفكـرة عند هيرقليطـــس٠

ويظهر الاتجاه الاول عند طوائف مثل الحرنانية [1] وهم جماعة مـن الصابئـــة ، يرى الشهرستانى انهم أصل التناسخ ، فهم يرون أن التناسخ هو أن تتكرر الادوار الى مالانهايـــة بحيث يحدث فى كل دور ماحـــدث فى الدور الاول ، وان الثواب والعقاب انما يتم فى هذه الدار لافـــى دار أخـــرى٠

كما يتمثل الاتجاه الثانى عند الاورفية والفيثاغورية وربط بفكـــرة التطهر من الشر وفى اعتقادهم ان حياة ارضية واحدة لاتكفى للتطهر بـــل لابد من سلسلـــة من الولادات تطيل مدة التطهير والتفكير ـ مـــن الكفارة ـ الى آلاف السنين حتى يأتى يوم تنجو فيه النفس الصالحة مـــن دولاب الولادات وتستعيد طبيعتها الالهية هذا هو التناسخ كمـــا رآه اصحابه الاصليـــون٠

فهل يعنى التقمص عند الدروز ، التناسخ ، أم يختلف عنه ؟لتحديد الجواب ، ينبغى أن نعرف التقمص عندهم ، وهو يعنى أن الانسان اذا

---

(١) طائفـــة الدروز : ص٨٧٠

انتهت حياته وصعدت روحه فانها لاتذهب الى الحياة البرزخية المعترف بها عند اكثر المذاهب الاسلامية ولكنها تتقمص مولودا جديدا فروح الرجل تتقمص طفلا وليدا وروح المرأة تتقمص طفلة وليدة .(١)

وهكذا يكون التقمص عندهم تقلب الروح في شتى الاحوال لكي يتسنى لها أن تختبر هذه الاحوال .

ونلاحظ اختلافين دقيقين بين تقمص الدروز والتناسخ :

أ- فالتناسخ يعني انتقال الروح من كائن الى كائن آخر قد يكون انسانا او حيواناً او نباتا وان النقلة تكون بحسب العمل فاهل الخير تنتقل ارواحهم الى اجساد ارفع وأهل الشر تنتقل ارواحهم الى اجساد احط . اما الدروز فان الانتقال عندهم قاصر على الانسان لايتعداه الى غيره .

ب- يتشدد الدروز في مسألة التجانس بالنسبة للتقمص فروح المرأة تحل في طفله ، وروح الرجل تحل في طفل على حين يرى أصحاب التناسخ ان من انواع العقاب أن تحل روح الرجل في امرأة تدنيا لها وحطا من منزلتها .

ووفقا لرأي الدروز في التقمص، فان العالم عندهم لايزيد ولاينقص، اذ ان الارواح عندهم معدودة محدودة ، وانها تتعاقب على الاجساد فاذا هلك جسد حلت روحه في جسد آخر ، وقد يكون ذلك مخالفا للواقع وماتشير اليه الاحصاءات من تزايد مستمر في عدد السكان الا انه

---

(١) اسلام بلا مذاهب : ص ٢٧٩ .

راى لهم يتوافق وعقائدهم. ولعل نصا من احدى رسائل الدروز يوضح هذا الملحظ فقد جاء في الرسالة ٦٧ من رسائلهم ان البشر وهم عالم السواد الاعظم سواء في " **العالم العلوي** " اعنى الفلك ومافيه من المدبرات والنيرات والاستقصات". [١]

اما في **العالم السفلي** لم يتناقصوا ولم يتزايدوا من حيث الارواح التى هى معدودة من أول الادوار ، تظهر بظهورات مختلفات الصورة على مقدار اكتسابها من خير وشر. [٢]

ولقد حاول الدروز تدعيم نظريتهم بنص من القرآن ، فاوردوا قوله تعالى : " **هل ينظرون الى ان تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك يوم يأتى بعض آيات ربك ، لا ينفع نفسا ايمانها ، لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت فى ايمانها خيرا " (سورة الانعام آية ١٥٨)**

ومن بين عقائد الدروز النطق ، وهو يرتبط بوجهة نظرهم فى التقمص فهم يعنون به ماتحدث به الروح من وقائع عن حياتها السابقة اومعلومات عن دورها فى الجيل السابق ، حين تنتقل من جسد الى جسد . [٣]

ولعل مصدرهم فى ذلك نظرية المثل الافلاطونية ،والتى يؤكد فيها افلاطون ان الانسان يتعلم فى عالم المثل كل مايحتاج اليه ، ثم يعود فيتذكره فى حياته على الارض، وهو مايعنيه بقوله " العلم تذكر والجهل نسيان " .

---

(١) مذهب الدروز والتوحيد : ص٥٦ ومابعدها .
(٢) نفس المصدر : ص٥٧ .
(٣) اسلام بلا مذاهب : ص٢٨٠ .

يجعل كل القائلين بدورات متعددة او حيوات متعددة الثـــواب والعقاب عبارة عن الارتفاع او الانحطاط فى الحيوات التالية التى تتـدرج فيها الروح من جسد الى جســـــد ٠

ومادام الدروز يقولون بالتقمص فان الثواب عندهم يعنى الارتفاع من درجة الى درجـــة حتى تبلغ درجة الامامة احيانـــا ٠ (١)

اما العقاب فانه هبوط فى الدرجة عما كانت عليه الروح ٠ ولكن مايميز الدروز هو ان الهبوط او الارتفاع عندهم لايعدو الصورة الانسانية ٠ فليس عندهم حلول فى حيوانات كما يرى اصحاب التناسخ واذا كان الثـــواب والعقاب مرتبطين بالجنة والنار فان الجنة عند الدروز ، هى توحيد الخالق وثمارها المعرفة الحقيقة ، والجحيم هو الجهل والشر ٠ اما النار الكبـــرى فهى غلبة الشقـــوة ، وهوى النفس البهيمية الغالب عليها الجهل ٠ (٢)

وتبعا لرأيهم فى الثواب والعقاب ، فانهم لايقولون ، بما يقول بـــه الدين ، من وجود يوم يحاسب فيه الناس على ماعملوا ، فيوم القيامة عنـــد الدروز يأخذ طابعا رمزيا فهو يعنى نهاية تطهر الارواح حيث يكمـــل التوحيد ، ويبلغ غايته بالانتصار على عقائد الشرك ، والثواب فيه يكـــون بتمام تطهر الروح بعد مرورها فى قمصانها المتعددة حتى تبلغ حـــد كمالها وتتصل بالعقل الكلـــى ٠

ويلاحظ أن التعبير بالقمصان عند الدروز يعنى الاجساد ، امـــا العقاب فهو القصور عن بلوغ تلك الدرجة ويكون العذاب هو الاحســـاس

---

(١) اسلام بلا مذاهب :ص ٢٨١ ،وانظر مذهب الدروز والتوحيد ص٥٨ ـ ٥٩ ٠
(٢) اسلام بلا مذاهـــب ص ٢٨١ ، ٢٨٢ ٠

بالتقصير عن درجة كمال الروح وتطهرهـــا ٠

والنص التالي يصور معتقد الدروز في الثواب والعقاب وبلوغ الـــروح منتهى كمالها ، ففي الرسالة ٦٦ " ٠٠٠ فقد اقترب للناس الحســـاب ٠ وان لتنور الاعراف ان يفور ٠٠٠ وقرب حصاد مازرعته الايدي ٠٠٠ لتتميـــز نفوس المحقين ، وتتعالى في درج الكمال مغتبطة بالمعارف اليقينية وتسعد بالضوء المشرق عليها بعد تغشيتها بوحشة الظلم الطبيعية وتتحلى بجواهر الفضائل ، وتتحد بالانوار القدسية ، وتكون مفتنة في تمام الجواهر وتربيتها بالمهن العقلية ، وفوزها بمملكة المعالم الآلهية ٠ فهي باقية مدى الدهور والابد قد صفا لها الســـدق ٠ [1]

الصدق) اليقيني بصحة المذاهب والمعتقد ٠ هناك تنور بدور التمـــام وتتعالى بالضياء والاشراق ، وترتفع نفوس أهل العدل ، ملتحقة بقالـــب البقاء والامن من الفساد والاغلال ، قد خلصت لطهر عنصرها وقـــوة صفائها من دنس الشكوك والأعراض وتهذيب بتحقيق قبولها للصور العقليـة وتشعشعت بحق الظهور معاقد الاعراف اصحاب اليمين واتحدت بعـــد مفارقتها للمواد الطبيعية بشرف وجود معقولات الربانيين وارسمت بمقر قدسهم مراسم العقل الفعال عند ذلك تتلألأ انواره (العقل) في الآفاق والاقطار لفيضان التأييـــد وتفدى سماء حكمته بهوامي التنزيه والتجريد وتنبـــت بها ارض الحقائق (نفوس الموحدين) ثمار التقديس والتسليم والتوحيد ٠٠ ويصح بالبعث الجزاء لنفوس الانام ، ويقوم الحق والعدل بقيام الامـــام ويخسر المرتدين والشاكون ٠٠ وتسأل المؤودة عما حملت من الاثقال والاوزار ٠٠

---

(١) يستخدم الدروز بعض الحروف بدلا عن بعض كما في كلمة (السدق) تبعا لرايهـــم في حساب الجمل ٠

هناك تطلع نفوس أهل الحقائق بصفائها على الخفيات وتبلغ بقوتها المتجلية لصق الحق نهاية النهايـــات. (١)

ولقد فسر بعض الدروز الاعراف بأنهم ملائكـــة أو انبياء على اعرافهم اي مراتبهم الروحية العالية العارفة بخفايا النفوس يستقبلون النفـــوس او الارواح الصالحـــة. (٢)

وقال البعض الآخر انهم ـ اي الاعراف ـ جماعة بين الجنة والنـــار يرجون رحمة ربهم واقرب تفسير للموحدين ـ اي الدروز ـ انهم " الحدود " يميزون بين الارواح في حسابهم لعقابها او ثوابهـــا .
هذا هو مجمل عقائد الدروز ، اي مايمثل الجانب الاعتقادي عندهم امـــا الجانب العملى ، فهو مايعرف بالشريعـــة.

فمن المعلوم أن الدروز قد اخذوا دعوتهم عن المذهب الباطنـــي الا انهم اختلفوا عن الباطنية في ان الباطنية يقولون بالظاهر والباطـــن معا اي باقامة الفرائض كما جاءت في دين الاسلام وثمة فرائض اخرى تعرف بالفرائض الباطنية وقد حصلوا عليها نتيجة تأويل بعض النصوص فالزكـــاة عند الباطنية مثلا هي ولاية على بن أبي طالب والائمة من ذريته والتبـــرؤ من الاضـــرار. (٣)

اما الدروز فانهم نقضوا الظاهر والباطن معا واتخذوا لانفسهـــم شريعة خاصة بهم تقوم على ما ارتاوه من التأويلات فالزكاة عندهم هـــي توحيد المولى وترك ماكان عليه الناس قديمـــا .

---

(١) مذهب الدروز والتوحيـــد : ص ٦٣ ـ ٦٤ .
(٢) نفس المصـــدر : ص ٦٤ .
(٣) طائفـــة الدروز : ص ١١٨ .

وللدروز فرائض اطلقوا عليها الفرائض التوحيدية ، وهى معرفة البارى وتنزيهه عن جميع الصفات والاسماء ، ثم معرفة الامام قائم الزمان . وهو حمزه بن على بن أحمد - وتميزه عن سائر الحدود ووجوب طاعته طاعة تامة ، ثم معرفة الحدود باسمائهم والقابهم ومراتبهم ووجوب طاعتهم.(١)

وهذه الفرائض الثلاثة ، يصبح المرء موحدا بمعرفتها وليس عليه أن يقوم بتكاليف اي فريضة من الفرائض ولكن على الموحد أن يعترف أيضا ببعض الواجبات التى فرضها المذهب مثل معرفة المقامات الربانية وهى التى ظهر فيها المعبود فى صور ناسوتية ومعرفة الصورة التى ظهر فيها كل مرة ومعرفة اسم الحاكم والاقرار بالنطق اي بالمجلس والسجلات التى تحتويها الكتب المقدسة ثم معرفة الفعل اي المعجزات التى قام بها المعبود فى ناسوته .

وقال الدروز إن المولى قد اسقط عن الموحدين سبع دعائم تكليفية ناموسية وفرض عليهم سبع خصال توحيدية وهى :

١- اولها واعظمها " سدق اللسان " .

٢- حفظ الأخوان .

٣- ترك ما كان عليه الموحدون وما اعتقدوه من عبارة العدم والبهتان .

٤- البراءة من الابالسة والطغيان ، ويقصد بذلك البراءة من الانبياء السابقين ومن كل الاديان والشرائع .

٥- التوحيد للمولى من كل عصر وزمان ودهر وأوان .

٦- الرضا بفعله كيفما كان .

---

(١) طائفة الدروز : ص ١١٨ .

٧- التسليم لامره في السر والحدثان وانه يجب ان يعلم كل واحد ان المولى يراه حيث لا يرى ٠

هذه هي الخصائص التوحيدية السبع التي وضعها الدروز وبها أسقطوا كل التكاليف الاسلامية والفرائض الدينية ٠

فصيامهم مثلا يختلف عن صيام المسلمين حيث يصومون تسعة الايام الاولى من ذي الحجة وصيامهم هو نفس التقليد الإسلامي بالامتناع عن الاكل والشرب والقيام بأي عمل يبطل صيام المسلم ٠ ويحتفلون بعيد الاضحى الذي هو عيدهم الاكبر ٠ ولا يعني ذلك ان كل الدروز منصرفون عن الفرائض الاسلامية بل ان بعضهم مع اعترافه بالانتماء للدروز يقيم فرائض الدين الاسلامي ويحس التعبد ٠

هذه هي الدرزية نشأت في وسط عربي بعيدة عن المزاعم التي تود نسبتها الى عناصر اجنبية وبدأت مذهبا اسلاميا يتخذ من الباطنية تعاليمه وطقوسه وتبنى آراء في الالوهية تنأى بهم عن حظيرة الاسلام وتثير حولهم الشكوك حيث يتساءل المتسائلون هل الدرزية مذهب اسلامي ام دين مستقل ؟

والمحدثون من الدروز يرفضون كون الدرزية دينا مستقلا ، ويؤكدون أن " الدرزية وديعة الاسلام الحنيف " (١) ، وان تناقض زعمهم هذا مع ماورد في كتبهم ورسائلهم من القول بتأليه الحاكم ونسخ الشريعة ورفض تكاليفها الا انهم يزعمون ان هذا ليس من أصل مبدأ الدروز وانما هو مدسوس عليهم ٠

---

(١) اسلام بلا مذاهب : ص ٢٨٢ ٠

بيد انهم فى مقابل ذلك ، لا يصححون الأمر بالنسبة لهم مظهرين مالديهم من وثائق ليطلع عليها أهل العلم فيفصلوا فى حقيقتهم ويضعوهم من حيث يجب أن يوضعوا ٠

وان ماقدمناه عنهم مستخلصا من كتب الباحثين فيهم وما كتبوه عن انفسهم فى ضوء ماسمح به من نصوص خاصة بهم ليسمح للقارئ بالتعرف عليهم والاطلاع على كثير من دعاواهم حتى ينكشف الستر ويظهروا أهم مالديهم من وثائق فيستبين امرهم ويمكن الحكم عليهم ٠

نص القـــــــراءة :

رسالة حمزة بن علي الموسومة بـ(كتاب فيـــــه حقائق مايظهر قدام مولانا جل ذكره من الهزل) (١)

" اما بعد معاشر الاخوان الموحدين اعانكم المولى على طاعتــــه انه وصل إلى من بعض الاخوان الموحدين كثر المولى عدد هم وزكى اعمالهــم وحسن نياتهم رقعة يذكرون مايتكم به المارقون عن الدين الجاحدون لحقائق التنزيه ويطلقون السنتهم بما يشكل افعالهم الردية ، وماتميل اليــــه اديانهم الدنية فيما يظهر لهم من افعال مولانا جل ذكره ونطقه ،ومايجري قدامه من الافعال التى فيها حكمة بالغة شتى فما تغنى النذر ،ولـــم يعرفوا بأن افعال مولانا جل ذكره كلها حكمة بالغة جدا كانت أم هزلا - يخرج حكمته ويظهرها بعد حين .. ولو نظروا الى افعال مولانـــــا جلت قدرته بالعين الحقيقية وتدبروا اشارته بالنور الشعشعانى لبانـــت لهم الالوهية والقدرة الأزلية والسلطان الابدي وتخلصوا من شبكة ابليس وجنوده الغوية ولتصور لهم حكمة ركوب مولانا جل ذكره وافعاله وعلمـــوا حقيقة المحض فى جده وهزله ووقفوا على مراتب حدوده وماتدل عليه ظواهر اموره جل ذكـــره وعز اسمه ولا معبود ســـواه.

فاول ما اظهر من حكمته مالم يعرف له فى كل عصر وزمان ودهـــر واوان وهو ماينكره العامة من افعال الملوك من تربية الشعر ولباس الصوف

---

(١) وردت الرسالة فى كتاب (طائفة الدروز) للدكتورمحمد كامـــل حسيـــن من ص ٤٢ - ص ٤٧.

وركوب الحمار بسروج غير محلاه لا ذهب ولا فضة ، والثلاث خصال معنى واحد في الحقيقة لان الشعر دليل على ظواهر التأويل والحمير دليل على النطقاء (الانبياء) لقوله لمحمد " يانبي أقم الصلاة وآت الزكاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر ان ذلك من عزم الامور ولا تصعر خدك للناس ولا تمشى في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا ، كل ذلك كان عند ربك شيئا محذورا وانقص من مشيك واغضض من صوتك أن انكر الأصوات لصوت الحمير . (١)

والعامة يروون ان هذه الآية حكاية عن لقمان الحكيم لولده فكذبوا وحرفوا القول وانما هو السابق وهو سلمان فانما سمى الناطق لولده لحد التعليم والمادة اذ كان سائر النطقاء والاوصياء اولاد السابق المبدع الاول وهو سلمان فقال سلمان لمحمد " أقم الصلاة اشارة الى توحيد مولانا جل ذكره وآت الزكاة يعني طهر قلبك لمولانا جل ذكره ولحدوده ودعاته ، وامر بالمعروف وهو توحيد مولانا جل ذكره ، وانه عن المنكر يعني شريعته وماجاء به من الناموس والتكليف . ان ذلك من عزم الامور يعني الحقائق ومافيها من نجاة الارواح من نطق الناطق ، ولا تصعر خدك للناس ، الخد وجه السابق وتصعيره سترة فضيلته ، ولا تمش في الارض مرحا ، فالمرح هو التقصير واللعب في الدين ، والارض ههنا هو الجناح الايمن الداعي الى التوحيد المحض ، واغضض من صوتك يعني بذلك اخفض وانقص واستر نطقك بالشريعة ، ان انكر الاصوات يعني الدعوة الظاهرة ، لصوت الحمير يعني بذلك أشر كلام وافحشه وانكره

---

(١) الآية القرآنية محرفة تحريفا شديدا جدا هنا فقد اضيفت الى الآية الكريمة الفاظ وحذف منها الفاظ . (فلتراجع في صورة لقمان - آية ١٩) .

نطق الشرائـــــع المذمومة فى كل عصر وزمـــان ٠

فاظهر مولانا جل ذكره لبس الصوف وتربية الشعر وهو دليل علـــى ماظهر من استعمال الناموس الظاهر وتعلق أهل التأويل بعلي بن أبـــي طالب وعبادته ، وركوب الحمار دليل على اظهار الحقيقة على شرائع النطقاء وأما السرج بلا ذهب ولافضة دليل على بطلان الشريعتين الناطق والاساس واستعمال حلى الحديد على السروج على دليل اظهار السيف على سائـــر اصحاب الشرائع وبطلانهم ٠ واستعمال الصحراء فى ظاهر الامر وخـــروج مولانا جل ذكـــره فى ذلك اليوم من السرداب الى البستان ومن البستـــان الى العالم دون سائـــر الابواب فالسرداب والبستان اللذان يخـــرج مولانا جل ذكره منهما ليس لاحد اليهما وصول ولا له بهما معرفة الا ان ـ يكون لمن يخدمهمـــا او خواصهما وهو دليل على ابتداء ظهور مولانـــا سبحانه بالوحدانية ومباشرته بالصمدانية بالحدين اللذين كانا خفييـــن عن سائر العالمين الا لمن يعرفها بالرموز والاشارات وهما الارادة ـ والمشيئة والارادة هو ذو معة والمشيئة تاليه فليس يعرفهما الا الموحدون لمولانا جل ذكره ، ومن السرداب يخرج الى البستان كذلك العلم يخرج من ذي معته الى ذي مصه الذي هو بمنزلة الجنة صاحب الاشجار والانهار ثم يخـــرج منهما الى النفس ، فاول مايلقى بستان برجوان وهو المعروف بالحجازي فلا يدخله ولا يدور حوله فى مضيه ، وهو دليل على الكلمة الازليـــة ثم يمضى الى البستان المعروف بالدكة وهو دليل على السابق وهو دكـــة العالم وعلومهم منه ، وهذا البستان المعروف بالدكة على شاطئ البحـــر كذلك علم التأويل ممثولة البحـــر ، والمستجيب ، للعهد اذا بلغ علـــم السابق ومعرفته حسب انه قد بلغ الغاية والنهاية فى العبادة ، وبستان

الدكة مع جلالتـــه ملاصق لموضع الفحشاء والمنكر دون سائر البساتيـــن دليل على ان علم السابق واصل بالنطقاء الذين هم معادن النواميـــس الفانية الحشوية والاعمال الفاحشة الدنية . والمقس دليل على الناطـــق وما في المقس من الفحشاء والمنكر دليل على شريعته والنساء الفاســدات اللواتي فيه دليل على دعاة ظواهر شريعته وارتكابهم الشهوات البهيميـــة في طاعته . ثم انه علينا سلامه يخرج الى الصناعة ويدخل من بابها ويخـــرج من الآخر . والصناعة دليل على صاحب الشريعة والصناعة ممنوعة من دخـــول العالم فيها فدخول مولانا جل ذكره فيها من باب وخروجه من باب دليـــل تحريم الشريعة وتعطيلهـــا .

ثم انه علينا سلامه ورحمته يدور حول البستان المعروف بالحجـــازي وهو دليل على الكلمة الازلية والدوار حول بلوغ الى الكشف بلا ستر تحـــوط بالدين . ثم انه يبلغ الى القصور وهما قصران عظيمان خرابان دليل علـــى بطلان الشريعتين وخرابهما ثم انه يدخل من باب البستان المعـــروف بالمختص وهو دليل على التالي اذ كان التالي مختصا بعلمه واكثر العالـــم يميلون اليه . هو هيولى العالم الجرماني ، ومن الشيعة من يعتقـــد ويعبد التالي ومن الشيعة من يقول بان التالي مولانا وهذا هو الكفر والشرك وانما هو التالي الذي عجز الناس عن معرفته وهو الجنة المعروفة بالمختص متصلة بالجنة المعروفة بالعصار ، والعصار دليل على الناطق لانه يعصر علم التالي فيخرج منه الحقيقة والتوحيد فيكتمه عن العالم الغبي ويظهـــر لهم الشغل وهو الكسب الذي لاينتفع به غير البهائم . وكذلك البستـــان المعروف بالعصار وهو خراب من الفواكه والاشجار والرياحين والاثمـــار ، وبستان المختص عامر بالفاكهـــة والازهار والرياحين والاشجار ومنـــه

يخرج الماء الى الحوض الذي تشرب منه البهائم ، والماء هو العلم ،والحوض هو المادة الجارى من التالى والدواب هم النطقاء والأسس وكذلك العالم يخرج من التالى الى الاساس فى كل عصر وزمان والسابق ممد الناطـــق وهذان البستانان بين المسجدين المعروفين بمسجد تبر ومسجد ريدان ، فمسجد ريدان محاذى بستان العصـــار ، ومسجد تبر محاذى بستـــان المختص ، ومسجد تبر دليل على الناطق والتبر دليل على الذهب والذهب دليل على ذهاب شريعته ، وهذا المسجد لم يصل فيه صلاة جماعة قـــط دليل على ان ليس للناطق ولا لمن تبعه اتصال بالتوحيد ، ومسجـــــد ريدان دليل على حجة الكشف القائم بالسيف والعنف الداعى الى التوحيد المنكر عند سائر العالمين ، فبازاء الباطل الذي هو جنة العصار وهـــو دليل على الناطق حق يرفع وهو مسجد ريدان وهو ذو معة ، وبازاء الحق الذي هو جنة المختص وهو التالى باطل يطلب فساده هو مسجد تبـــــر وهو الناطق ، وريدان خمسة أحرف دليل على الخمسة حدود النفسانين والنورانيين والروحانيين والجومانيين والجسمانيين وهو ذو معة العقـــل الكلى النفسانى وذو مصة النفس الروحانى والجناح الربانى والأيمن الباب الاعظم وهو السابق والتالى معدن العلوم ، وما من المساجد مسجد سقطت قبته وهو بكمالــــه غير مسجد ريدان . فامر مولانا سبحانه بانشـــــاء قبته وزاد فى طوله وعرضه وسموه دليل على هدم الشريعة الظاهـــــرة على يد عبده الساكن فيه [1] وانشاء توحيد مولانا جل ذكره فيه بالحقيقـــة ظاهرا مكشوفـــة . ونزوله عن الحمار الى الارض وركوبه آخر محاذى بـــاب المسجد دليل على تغيير الشريعة واثبات التوحيد واظهار الشريعـــة

---

(١) المعروف ان حمزة بن على كان يسكـــن مسجد ريدان هذا .

الروحانية على يد عبده حمزة بن علي بن أحمد ونزوله الى الارض محاذى باب المسجد اشارة منه الى عبده باب حجابه على خلقه ونزوله عن الحمار وركوبه آخر كان في نفس اذان الزوال وصلاة الزوال دليل على الناطق وتغيير مولانا الحمار في نفس وقت الاذان دليل على ازالة الظاهر . ثم ان مولانا لابد له في كل ركبة من الاعادة الى البساتين المعروفين بالمقس دليل على اظهار النشئ الثالث الخارج من الكفر والشرك وهما الظاهر والباطن وهو توحيد مولانا جل ذكره . ودخوله الى القصر من الباب الذي يخرج منه والسرداب بعينه دليل على اثبات الامر وكشف الطرائق .

وأما نزوله في ظاهر الامر الى مصر وماشاهدناه ففيها تمكن الشيطان الغوي من قلوب العامة الحشوية والعقول السخيفة الشرعية مما يسمعونه من ألسن الركابية قدام مولانا بما يستقر في عقولهم السخيفة من كلام الهزل والمزاح ولم يعرفوا ان فيه حكمة بالغة ، فأول مسيره الى المشاهد الثلاثة وليس فيها اذان ولا اقامة ولاصلاة جماعة الا في الاوسط ثم انه يسير الى راشدة وهي ايضا ثلاثة مساجد متفاوتات البنيان واحسن مافيها واعلاها وافضلها الذي يصلي الخطيب فيه يوم الجمعة وتصلى فيه خمس صلوات على دائم الايام وهو الوسطاني وهو دليل على توحيد مولانا واثبات خمس حدود علوية فيه والمسجدان اللذان معه متفاوتان في البناء دليل على الناطق والاساس ، وكذلك الناطق في ترتيب حدوده افضل من الاساس والاساس اعظم شأنا في ترتيب الباطن ورموزه من الناطق في المعقولات والبيان فلما ظهر التوحيد زالت قدرتهما جميعا ، وسميت راشدة لان بمعرفته الحجة وهدايته والاخذ منه يرشد المستجيبون ثم ان علينا سلامه ورحمته يدور حول هذا المسجد الوسطاني في ظاهر الامر دليل

على التأييد لعبده وقدام المسجد عقبة صعبة الصعود لمن يسلكها وليس الى القرافة محجة الا على هذه العقبة دليل على البراءة من الابالسة اصحاب الزخرف والناموس . واما مايرونه من وقوفه في الصوفية واستماعه لاغانيهم والنظر الى رقصهم فهو دليل على ما استعمل من الشريعة التى هى الزخوف واللهو واللعب وقد دنا هلاكهم .

واما لعب الركابية بالعصى والمقارع قدام مولانا جل ذكره فهو دليل على مكاسره اهل الشرك والعامة وتشويههم بين العالم واظهار اديانهم المغاشم ويكشف زيفهم . اما الصراع فهو دليل على مفاتحة الدعاة بعضهم لبعض ، وقد كان للعالم في قتل سويد والحمام عبرة لمن اعتبر لانهما كانا رئيسين في الصراع ولكل واحد منهما عشيرة تحميه واتباع وهما دليلان على الناطق والاساس وقتلهما دليل على تعطيل الشريعتين التنزيل والتأويل والهوان بالطائفتين من أهل الكفر والتلحيد . واما ماذكره الركابية من ذكر الفروج والاحاليل فهما دليلان على الناطق والاساس ، وقوله ارني قمرك يعني اكشف عن اساسك وهو موضع يخرج منه القذر دليل على الشرك فاذا كشف عن اساسه واخرج قبله اي عبادة اساسه نجا من العذاب والزيغ في اعتقاده ومن شك هلك .. الخ " .

انما سقنا هذا النص لنبين أي عقلية هى عقلية حمزه بن علي فانه يصور موقف الحاكم الذي يعتقده آلها متجسدا في صورة ناسوتية مع غيره من الناس ويعبر عن دعواه منذ بدئها الى ان شاعت واصبحت معروفة ظاهرة .

ونلمح كثيرا من الرموز الباطنيـــة والأشارات الاسماعيلية كما نلمح بين سطور الرسالـــة كثيرا من الخرافات التى تضع حمزة بن على محل الريبـــة والتشكك ، وانى لارى أن الدروز المحدثين مطالبون باظهار رأيهم فـــى حمزة بن على وموقفهم من كتبه ورسائله ، وكذلك كل من سار على هـــذا المنوال حتى يصح للدروز اسلامهم الذي يتشبثون به ويزعمون انهـــم أئمتـــه ٠

ومالم يفعل الدروز ذلك فسيظلون بين القوسين محل الشـــك والارتيـــاب٠

دكتور / عماد الدين مصطفى رجب

المدرس بقسم العقيدة والفلسفه